(28) راحة تامة إذا حقق أصلاً تراثياً أو مجداً فنياً تعقبهما النتائج الرصينة ، ولا أدعي هذا للبحث ، فقد يحدث وقد لا يحدث ، ولكني أشير إليه باستقراء محدود قد يفتح الطريق أمام الباحثين ، لأنه سمات إلى الركب الصاعد ، ومؤشرات في مسيرته كما سنرى . 1ـ لا شك أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : 175هـ) قد أفاد الدارسين العرب في مباحث معجمه الأصيل (العين) (1) حين بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي ، الحرفي ، ومن ثم تقسيمه على ما يحتمله من ألفاظ مستعملة ، وأخرى مهملة لدى تقلب الحرف في التركيب لتعود ألفاظاً بداية ونهاية طرداً وعكساً ، ومن ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة . والمهمل دون استعمال . وقد كان الخليل هو الرائد الأول لهذا الباب دون الخوض في التفصيلات المضنية للبحث الدلالي كما يفهم في لغة التحديث ، لأن مهمته كانت لغوية إحصائية ولكنها على كل حال تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون عن قصد أو غير قصد ، وهو إلى القصد أقرب وبه ألصق لما تميز به الخليل من عبقرية ولما اتسمت به بحوثه من أصالة وابتكار . وقد أفاد من ذلك كثيراً سيبويه (ت : 180 هـ) كما يتضح من استقراء الكتاب . 2ـ وهذا أبو عثمان الجاحظ (ت : 255هـ) وهو حينما يتحدث عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام ، وهي حالة بلاغية ، إنما يتحدث عما يحدثه معنى اللفظ عند السامع من فهم لايتعدى فيه المتكلم حدود دلالة الألفاظ على المعاني لدى المتلقي فيقول : ـ (ينبغي للمتلكم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، _____ (1) حقق الدكتور عبد ا درويش عميد كلية دار العلوم في جامعة القاهرة ما عثر عليه من كتاب العين وطبعه ومن ثم قام الأستاذان الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي بتحقيقه كما تركه مؤلفه وقامت وزارة الثقافة والإعلام في العراق بطبعه طباعة أنيقة في ثمانية أجزاء .